

هو في كتاب سيبويه وأثرها عند النحاة

أ.م.د. نجاح صابر فاهم

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

"He" in Sibawayh's Book and its Impact on Grammarians

Assist. Prof. Dr. Najah Sabir Fahim

University of Karbala / College of Education for Humanities

Abstract

Sibawayh's book is considered the first and the last in grammar and morphology for it is a document for the rules of Arabic at which scholars have stopped and to which they have not added. The succeeding scholars have depended on it and just have explained or summarized it. The late scholars have not added to it but a little; Al-Mazni (died 249 Hegira) said, "Anyone trying to compose a book of grammar after Sibawayh should withdraw". Al- Jahidh (died 255 Hegira) said, " People have not written a book like it and all what has been written about it is premature". Ali Al- Najdi explained that Sibawayh's book is "that great monument made by the prominent scholar in the immortality arena to be a timeless and never ending treasure of Arabic and a sign for his efficiency in it, his knowledge of its complex rules, and his pioneership in illustrating its principles in an unmatched way: comprehensive view, scholarly efficiency, precise analysis, reliable opinion, and valuable judgment".

كتاب سيبويه يُعدّ الكتاب الأول والأخير في النحو والصرف، فهو سجلّ لقواعد العربيّة، فوقف العلماء عنده، ولم يزيدوا عليه، وكلّ من جاء بعده جعل الكتاب أساس دراسته، ووقف عند حدّ الشرح أو الاختصار، ولم يزد المتأخرون عليه إلا القليل، فقال المازنيّ (ت249هـ): «من أراد أن يعمل كتابًا كبيرًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح». ¹، وقال الجاحظ (ت255هـ): «لم يكتب الناس في النحو كتابًا مثله، وجميع ما كتب الناس عليه عيال» ²، وأوضح الأستاذ علي النجديّ أن كتاب سيبويه «هو هذا السفر العظيم الذي أقامه العالم الجليل في ساحة الخلود أثرًا وأرسله مع الأيام نكرًا وأدخره للعربيّة كنزًا وندبه في العالمين شاهدًا على براعته فيها، ونفاده إلى أسرارها وإمامته في الاشتراع لها وضبط أصولها، على نحو يعزّز نظيره في الأولين والآخرين : شمول إحاطة، وبراعة أستاذية، وسلامة تحليل، وصدق نظر، وصحة حكم» ³.

هذا البحث كان أحد ثمار محاضرات التي ألقيتها على طلبة الدكتوراه* في مادة (قراءة في نص نحويّ قديم) فاخترت

كتاب سيبويه لهذه القراءة.

تناول البحث طبيعة (هو هو) في كتاب سيبويه، وتتبعها عند علماء النحو، احتلت مجالًا واسعًا في الكتاب، فسّر بها سيبويه طائفة من العلاقات المتعلقة بالمبني والمبني عليه (المبتدأ والخبر)، وبين الصفة والموصوف، وبين البديل والمبدل منه، والمفعول المطلق وعامله، والحال وصاحبه، وقد جعلها الدكتور محمد كاظم البكاء في ضمن العلاقات التي تربط العامل والمعمول، التي تؤثر تأثيرًا واضحًا في بناء التركيب اللغوي، وهذه العلاقات حددها على النحو الآتي ⁴:

أ- علاقة التفرغ أو الاشتغال.

ب- علاقة التعدي.

¹. أخبار النحويين، لأبي سعيد السيرافي: 39.

². وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين الأربلي: 3/ 463.

³. سيبويه إمام النحاة، الأستاذ علي النجدي: 123.

* محاضرات ألقيتها على طلبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية / كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء للعام الدراسي 2012/2011م.

⁴. ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، د. محمد كاظم البكاء: 255.

ت-علاقة التطابق (هو هو).

ث-علاقة الخلاف (عشرون درهماً).

ج-علاقة الإضافة.

ح-العلاقة الصوتية (التتوين، إطالة الكلام، العمل على الجوار).

فيوضح من تحديد هذه العلاقات أنّ تركيب (هو هو) دالٌّ على علاقة تطابق بين العامل والمعمول من وجهة العمل النحوي، غير أنه الذي يتأمل في قراءة نصوص كتاب سيبويه التي وردت فيها هذه الظاهرة يجد حقيقة غير ما ذهب إليها أستاذنا الدكتور محمد كاظم البكاء في توجيهه لـ(هو هو)، وإنما هي علاقة تطابق نوعي أو جنسي التي تربط بين المبني والمبني عليه، والدليل على هذا أن سيبويه نفسه أطلق درجات لهذا التطابق، فإذا كان التطابق بين المبني والمبني عليه كلياً أي الاتحاد بالنوع أو بالجنس أطلق عليه (هو هو)، وإذا كان التطابق بين المبني والمبني عليه جزئياً أي علامة التشابه أو علاقة وصفية فأطلق عليه سيبويه (الآخر هو الأول)، وإذا كانت علاقة التطابق تفرغاً بين المبني والمبني عليه، أطلق عليها سيبويه (الآخر الأول)، وعلى وفق هذا عالج البحث هذه الظاهرة في كتاب سيبويه وأثرها عند النحاة، فقسم البحث على مطالبين :

المطلب الأول: هو هو في كتاب سيبويه.

المطلب الآخر: هو هو عند النحويين كالمبرد (ت285هـ)، وابن السراج (ت316هـ)، وابن جني (ت392هـ)، وابن هشام الأنصاري (ت761هـ) وغيرهم.

واعتمد البحث على مصادر ومراجع متعددة، فمنها: الكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد، والخصائص لابن جني، والأصول في النحو لابن السراج، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري...

وقفي البحث بخاتمة سطرٍ فيها أهم ما نبتغيه من كتابة هذا البحث، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

البحث يقتضي الوقوف على بيان طبيعة مفهوم (هو هو) عند اللغويين والمناطق؛ وذلك لتحديد هذا المفهوم الذي يسعى إليه البحث في التجوال في مناحيه عبر منظومة سيبويه.

هُوَ هُوَ فِي اللُّغَةِ: (هُوَ) كِنَايَةٌ عَنِ الْوَاحِدِ الْمُدَّكَّرِ، أَوْضَحَ الْكِسَائِيُّ (ت189هـ) أَنَّ أَصْلَهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ مِثْلَ (أَنْتَ)، فَيَقَالُ: هُوَ فَعَلَ ذَلِكَ، وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يُخَفِّفُهُ فَيَقُولُ: هُوَ فَعَلَ ذَلِكَ، وَحَكَى الْكِسَائِيُّ عَنِ بَنِي أَسَدٍ وَتَمِيمٍ وَقَيْسٍ هُوَ فَعَلَ ذَلِكَ بِإِسْكَانِ الْوَاوِ¹.

واختلف البصريون والكوفيون في تركيب (هُوَ)، فذهب البصريون إلى أنّ الهاء والواو هو الاسم بمجموعهما، ودليلهم أنّ الكلمة على تبنى على حرفٍ واحدٍ، فلا بدّ من حرفٍ يبتدئ به، وحرفٍ يوقف عليه؛ فلو كان الاسم (هُوَ) متكوّنًا من هاءٍ وحدها؛ لكان يؤدّي إلى أن يكون الحرف الواحد ساكنًا متحرّكًا، وذلك محالٌّ؛ فوجب ألا تكون الهاء وحدها هي الاسم. أما الكوفيون فذهبوا إلى أنّ الاسم (هُوَ) متكوّنٌ من الهاء وحدها من غير الواو؛ لأنّه لو كانت الواو أصلًا؛ لما حذفّت في التنثية، في نحو: هما، فضلًا عن استدلالهم بالدليل الشعريّ على أنّ الواو تحذف في حالة الأفراد وتبقى الهاء وحدها. فردّ البصريون ما ذهب إليه الكوفيون فذكروا أن قولهم الواو (هو) تحذف في التنثية، فهذا غير صحيح؛ لأنّ صيغة (هما) في التنثية من (هو) ليست بتنثية على حدّ قولك: في زيد زيدان وعمرو عمران، وإنما هما صيغة مرتجلة للتنثية كـ(أنتما)، ألا ترى أنه لو كان تنثية على حدّ قولهم: زيدان، وعمران؛ لقالوا في تنثية هو (هُوان)، وفي تنثية أنت (أنتان)²، وبعد هذا العرض أرجح أنّ صيغة (هو) من الصيغ المرتجلة التي نقلت ألينا، فليس هناك دليل واضح على تركيبها واشتقاقها، فربّ في قابل الأيام يكشف لنا التطور اللغوي التاريخي حقيقة تركيب صيغة (هو).

¹. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد مرتضى الزبيدي: 40/ 540.

². ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الانباري: 555/2 وما بعدها (المسألة 96).

وفي اللغة يقال : عين الشيء نفسه أو ذاته، أي : هو هو عيناً، أو هو هو بعينه¹. فهو هو في اللغة تعني وسيلة مطابقة بين الشيء ونفسه أو صفته، أو قريبة من صفته. أما عند المناطقة فدلالته لا تختلف في ما هو عند اللغويين، فقد استعمل المناطقة هذا التركيب للدلالة على لفظة الهوية التي تُطلق على معانٍ ثلاثة: الشخص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي، أي: ما به الشيء هو هو باعتبار تحقّقه يُسمى حقيقةً وذاتاً، وباعتبار تشخصه يُسمى هوية، وإذا أخذ أعم من هذا الإعتبار يُسمى ماهيةً، وقد يُسمى ما به الشيء هو هو ماهيةً إذا كان كلياً كماهية الإنسان، وهوية إذا كان جزئياً كحقيقة زيد².

فقال السيد الشريف الجرجاني (ت817هـ) في تعريفه (حقيقة الشيء) : « ما به الشيء هو هو، كالحَيوان الناطق للإنسان، بخلاف الضاحك، والكاتب، ممّا يمكن تصورالانسان بدونه، وقد يقال : إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحقّقه : حقيقة، وبامتياز تشخصه: هوية ومع قطع النظر عن ذلك : ماهية³ ».

فتركيب هو هو دلّ على حقيقة الشيء من جهة الخارج، وكذلك أشار السيد الجرجاني إلى أن ماهية الشيء تدل على هو هو الشيء، إذ قال: «ما به الشيء هو هو، وهي من حيث هي لا موجودة، ولا معدومة، ولا كلي، ولا جزئي، ولا خاص، ولا عام»⁴، وألف الحسين بن منصور الحلاج البغدادي الصوفي توفي مصلوباً ببغداد سنة (ت309هـ) كتاباً عنوانه (كتاب هو هو)⁵.

المطلب الأول : هو هو في كتاب سيبويه :

الذي يدقق النظر في المدونة اللغوية العربية يجد أن تركيب هو هو احتلّ مجالاً واسعاً في كتاب سيبويه، فسّر بها سيبويه طائفة من العلاقات المتعلقة بالمبني والمبني عليه (المبتدأ والخبر)، وبين الصفة والموصوف، وبين البديل والمبدل منه، والمفعول المطلق وعامله، والحال وصاحبه، ومنهجنا في البحث يقوم بتحليل النصوص التي وردت فيها هذه الظاهرة ؛ من أجل أن نقف على مضامينها وتفسيراتها، ومن النصوص التي وردت فيها هذه الظاهرة.

ففي باب الابتداء، إذ قال سيبويه: «فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام، والمبتدأ والمبني عليه رفع. فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه، فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسندٌ ومسندٌ إليه، واعلم أنّ المبتدأ لا بد له من أن يكون المبني عليه شيئاً هو هو، أو يكون في مكان أو زمان. وهذه الثلاثة يُذكر كل واحدٍ منها بعد ما يُبتدأ. فأما الذي يُبنى عليه شيء هو هو فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، وذلك قولك: عبد الله منطلق؛ ارتفع عبد الله لأنه ذكر ليبنى عليه المنطلق، وارتفع المنطلق لأن المبني على المبتدأ بمنزلة»⁶.

فالملاحظ في هذا النص أن حديث سيبويه ينقسم على قسمين : فالأول : حديثه عن مفهوم المبتدأ من حيث جنسه وما يتركب به أي ما يبنى عليه من كلام، وبين الحكم النحوي للمبني والمبني عليه (المبتدأ والخبر)، ثم يوضح العلاقة بين المبتدأ والخبر فهي علاقة تلازمية بنائية فيفسر هذه العلاقة سيبويه بمسميات البناء (المبني والمبني عليه)، وهنا عند سيبويه المبني هو المبتدأ، والمبني عليه هو الخبر، فضلاً عن أن سيبويه نظر إلى مسألة المسند والمسند إليه من جهة كلام المتكلم، فالمسند عنده (المبتدأ) والمسند إليه هو (الخبر) فهذا منحى وظيفي من جهة استعمال المتكلم، أما النحويون الذين جاؤوا بعد سيبويه فعكسوا هذه المسألة ؛ لأنهم نظروا إلى مسألة بمنحى تركيبية، فأصبح المسند إليه هو (المبتدأ) والخبر هو (المسند).

¹. ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري : 2170/6، ولسان العرب لابن منظور : 305/13.

². ينظر : الكليات، لأبي البقاء الكفوي : 961.

³. التعريفات، للسيد الشريف الجرجاني : 74.

⁴. المصدر نفسه : 161.

⁵. ينظر : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن أحمد البغدادي : 304-305.

⁶. كتاب سيبويه : 90/2.

ومما أورده سيبويه في بيان هذه الظاهرة، إذ قال : « وإن قلت: الليلة الهلال، واليوم القتال نصبت، التقديم والتأخير في ذلك سواء. وإن شئت رفعت فجعلت الآخر الأول...، وتقول: عهدي به قريباً وحديثاً إذا لم تجعل الآخر هو الأول، فإن جعلت الآخر هو الأول رفعت، وإذا نصبت جعلت الحديث والقريب من الدهر»¹.

إن المتأمل في هذا النص يجد أن سيبويه أطلق عبارتين فالأولى (جعلت الآخر الأول)، مثل لها : الليلة الهلال، واليوم القتال، فلو دققنا النظر إلى العلاقة بين المبني والمبني عليه نجدها أنها علاقة احتواء ؛ لأن الليلة تحتوي الهلال، والهلال يحتوي في الليل ؛ لهذا يجوز التقديم والتأخير، فالتقدير : الليلة طلوع الهلال.

على وفق هذا فإن سيبويه كان دقيقاً في إطلاقه هذه العبارة ؛ لأن العلاقة بين المبني والمبني عليه علاقة احتواء لهذا لم يذكر لفظ (هو هو) للدلالة على علاقة وصف الذات نفسه، ولا (الآخر هو الأول) للدلالة على علاقة التشبيه.

أما العبارة الأخرى التي ذكرها سيبويه (الآخر هو الأول)، ومثل لها في حالة الرفع : عهدي به قريب وحديث، فكأن المتكلم أراد وصف العهد بالقرب من مبدأ التشبيه أي صار بمنزلة : أنت مني قريب، فالعهد به ليس في حقيقته قريباً وحديثاً، فالعهد شبه بالقرب والحديث ؛ لذا كان دقيقاً في اصطلاحه هذا المصطلح فالآخر (المبني عليه) هو تشبيهه بالأول (المبني).

وعلى وفق ما تقدم يمكننا ترجيح ثلاث درجات للعلاقة بين المبتدأ والمبني عليه، وهي في ما يأتي :

أ- المبتدأ + المبني عليه (هو هو) = علاقة مطابقة، نحو : عبد الله منطلق.
ب- المبتدأ + المبني عليه (الآخر هو الأول) = علاقة التشابه أو الوصف، نحو : هو مني مزجر الكلب، وعهدي بي قريب وحديث.

ت- المبتدأ + المبني عليه (الآخر الأول) = علاقة احتواء (ظرف)، نحو: الليلة الهلال.

ومما ينص عليه سيبويه في وصف (هو هو)، إذ قال في باب (ما الرفع فيه الوجه) : « وذلك قولك : هذا صوت صوت حمار، لأنك لم تذكر فاعلاً، ولأن الآخر هو الأول حيث قلت: هذا، فالصوت هذا، ثم قلت: هو صوت حمار ؛ لأنك سمعت نهاقاً. فلا شك في رفعه، وإن شَبَّهت أيضاً فهو رفعٌ لأنك لم تذكر فاعلاً يفعله، وإنما ابتدأته كما تبدئ الأسماء، فقلت: هذا، ثم بنيت عليه شيئاً هو هو، فصار كقوله: هذا رجلٌ رجلٌ حربٍ»².

هذا النص ينقسم حديث سيبويه على قسمين : فالأول في حال قول المتكلم (هذا صوت صوت حمار)، ولم يذكر الفاعل، فالوجه الرفع ؛ لأن المتكلم أراد أن هذا الصوت يشبه صوت حمار، فأطلق سيبويه على هذا بعلاقة (الآخر هو الأول) من مبدأ التشبيه، فالمعنى يكون : هو صوت يشبه صوت حمار، وأما الآخر ففي حال سمع المتكلم نهاق الحمار فقال : (هذا صوت صوت حمار)، فأطلق سيبويه على هذا بعبارة (هو هو)، أي المعنى أن هذا الصوت هو في حقيقته صوت حمار، فهنا هذا بمنزلة هو في مطابقة التعيين، وبمكتنا توضيح هذين القسمين بالمعادلتين الآتيتين :

أ- في حال سماع النهاق = المبتدأ (هذا صوت) + المبني عليه (صوت حمار) = هو هو.

ب- في حال مشابه الصوت = المبتدأ (هذا صوت) + المبني عليه (صوت حمار) = الآخر هو الأول.

وعلى وفق هذا فسيبويه ينطلق في تحليله النحوي من استعمال المتكلم، فاللغة عنده على وفق استعمال المتكلم وقصديته، ومن النصوص التي أوردها سيبويه في بيان هذه الظاهرة، إذ قال : « وذلك نحو قولك: له صوت صوت حسن؛ لأنك إنما أردت الوصف، كأنك قلت: له صوت حسن، وإنما ذكرت الصوت توكيداً ولم ترد أن تحمله على الفعل، لما كان صفة، وكان الآخر هو الأول، كما قلت: ما أنت إلا قائم وقاعد، حملت الآخر على أنت لما كان الآخر هو الأول»³.

¹. كتاب سيبويه : 342/1.

². كتاب سيبويه : 304 /1.

³. المصدر نفسه : 302/1.

نلاحظ أن سيبويه قصد في هذا النص نمط التركيب (الآخر هو الأول)، فالآخر (صوت حسن) لم يكن في حقيقته هو هو هذا الصوت، بل وصف لهذا الصوت، فالعلاقة بين المبتدأ والمبني عليه علاقة وصف؛ لذا عبر سيبويه عنها بـ(هو) واحدة.

وكذلك مما أوضحه سيبويه في بيان هذا الظاهرة، إذ قال: «واعلم أن الشيء يوصف بالشيء الذي هو هو وهو من اسمه، وذلك قولك: هذا زيد الطويل، ويكون هو هو وليس من اسمه كقولك: هذا زيد ذاهباً، و يوصف بالشيء الذي ليس به ولا من اسمه، كقولك: هذا درهم وزناً، لا يكون إلا نصباً»¹.

الذي يتبين في هذا النص أنه أطلق عبارة (هو هو وهو من اسمه) على كلمة (الطويل) في جملة (هذا زيد الطويل)، وسيبويه أراد أن يفسر العلاقة بين المبني والمبني عليه أي بين زيد والطويل، فصفة (الطويل) هي بمنزلة ذات زيد من جهة كونه طويلاً أي بعبارة أخرى أصبحت الصفة بمنزلة الذات؛ لذا عبر عنها بـ(هو هو)، أما المقصود (وهو من اسمه) فتعني أن صفة الطول ملازمة وثابتة لزيد، فهذه الصفة لا تتغير؛ لذا كان دقيقاً في إطلاقه هذا المصطلح.

أما جملة (هذا زيد ذاهباً) فأطلق عليها عبارة (هو هو وليس من اسمه)، فصفة الذهاب هي بمنزلة ذات زيد من جهة كونه ذاهباً، فهنا العلاقة بين المبني والمبني عليه أي بين زيد وكونه ذاهباً علاقة مطابقة بين الصفة والذات؛ لذا عبر عنها سيبويه بـ (هو هو)، أما المقصود (ليس من اسمه) فصفة كون زيد ذاهباً ليست ثابتة فهي متغيرة.

أما السيرافي (ت368هـ) فقد فسّر مراد سيبويه بالاسم الذي (هو هو) أن يكون اسمان أحدهما هو الآخر، ولو عبرنا عن كل واحد منها بالآخر كان له اسماً، والذي هو من اسمه أن يكون محمولاً على إعرابه، كقولك: هذا زيد ذاهباً، فهو هو؛ لأنّ زيداً هو ذاهباً، وذاهباً هو زيد²، فعبارة سيبويه - كما أوضحناها - فهي ذات منحى وظيفي راعى فيها استعمال المتكلم.

ويعد هذا العرض الموجز عن هذه الظاهرة في كتاب سيبويه، يتضح لنا ما يأتي:

- 1- أن سيبويه كان دقيقاً في وصفه هذه الظاهرة و تفسير درجات التطابق بين المبني والمبني عليه.
- 2- أن ظاهرة (هو هو) استمد فكرتها من القياس اللغوي وطبق بما ترتضيه طبيعة اللغة.
- 3- بين سيبويه درجات التطابق بين المبتدأ والمبني عليه، وهي في ما يأتي:
 - المبتدأ + المبني عليه (هو هو) = علاقة مطابقة، نحو: عبد الله منطلق.
 - المبتدأ + المبني عليه (الآخر هو الأول) = علاقة التشابه أو الوصف، نحو: هو مني مزجر الكلب، وعهدي بي قريب وحديث.

• المبتدأ + المبني عليه (الآخر الأول) = علاقة احتواء (ظرف)، نحو: الليلة الهلال.

- 4- أوضح سيبويه درجات التطابق بين المنعوت والنعت، وهي ما يأتي:
 - المبني (الذات) + المبني عليه (وصف ثابت غير متغير) = هو هو هو.
 - المبني (الذات) + المبني عليه (وصف متغير بمنزلة الذات نفسه) = هو هو.
- 5- أن نحو سيبويه نحو علمي، أما النحاة الذين جاءوا بعد سيبويه فكان نحوهم تعليمياً.
- 6- منهج سيبويه يفسر اللغة باللغة؛ لذا كثرت عنده آليات التفسير في مفهومات مثلًا: (المنزلة، وأجري مجرى، كما قالت العرب، وقع موقع، في موضع، كأنك قلت وكأنه يقول، وهذا تمثيل لم يتكلم به).
- 7- نظر سيبويه إلى اللغة من حيث استعمال المتكلم؛ لذا نقول إن نحو سيبويه نحو وظيفي، أما النحاة الذين جاءوا بعده فنظروا إلى اللغة من خلال التركيب.

¹. كتاب سيبويه: 86/2.

². شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي: 51/7.

المطلب الآخر: أثر (هو هو) عند النحويين :

استعمل المبرّد بعد سيبويه هذا التركيب للدلالة على التطابق كأنه يدل على التفسير إذ قال: في باب (هَذَا بَاب مَا كَانَ مِنْ أَفْعَلٍ نَعْتًا يَصْلُحُ فِيهِ التَّأْوِيلَانِ جَمِيعًا): «فَمَنْ ذَلِكَ أَجْدَلُ، وَأَخِيلُ الْأَجُودُ فِيهِمَا أَنْ يَكُونَا اسْمَيْنِ؛ لِأَنَّ الْأَجْدَلَ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الصَّنْفِ بَعِيْنِهِ، وَالْأَخِيلُ أَيْضًا: اسْمُ طَائِرٍ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ (أَجْدَلَ) إِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْجَدْلِ وَهِيَ شِدَّةُ الْخَلْقِ، وَأَخِيلٌ إِنَّمَا هُوَ أَفْعَلٌ مَأْخُوذٌ مِنَ الْخِيْلَانِ»¹.

في هذا النص يشير المبرّد في استعمال (هو هو) إلى دلالة التطابق بين مبنى الكلمة وما اشتق منه، فتوسع المبرّد في علاقة التطابق، انتقلت هنا من مستوى علاقة التطابق بين المبنى والمبني عليه في النحو إلى استعمالها في تطابق البناء الصّرفي.

كذلك استعمل المبرّد هذا التركيب التفسيري في (بَاب مِنْ إِعْمَالِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَهُمَا الْفِعْلَانِ اللَّذَانِ يَعْطِفُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ)، إذ قال: «وَتَقُولُ: ظَنَنْتُ أَوْ قُلْتَ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ إِذَا أَعْمَلْتَ الْآخَرَ لِأَنَّ قُلْتَ إِنَّمَا يَفْعُ بَعْدَهَا الْحِكَايَةَ إِذَا كَانَتْ جَمَلَةً نَحْوُ الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، إِنْ أَعْمَلْتَ الْأَوَّلَ قُلْتَ ظَنَنْتُ أَوْ قُلْتَ هُوَ زَيْدًا مُنْطَلِقًا تَجْعَلُ هُوَ ابْتِدَاءً وَخَبْرَهُ هُوَ الثَّانِي وَهُمَا ضَمِيرٌ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ إِلَّا أَنَّكَ رَفَعْتَهُمَا لِتَهْمَا بَعْدَ قُلْتَ فَصَارَتْ حِكَايَةَ الْأُتْرَى أَنَّكَ تَقُولُ قَالَ زَيْدٌ عَمْرُو أَخُوكَ وَقُلْتَ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ»².

ففي هذا النص اقتفى المبرّد أثر سيبويه تفسير العلاقة التطابقية بين المبنى والمبني عليه (زيد منطلق) فعبر عنهما بـ(هو هو)، فعند تقول: من زيد؟ فالجواب: هو منطلق، وتقول: من المنطلق؟ فالجواب: هو زيد.

³ قال ابن السراج (ت318هـ)، في موضوع حذف المبتدأ والخبر في حالة معرفة المخاطب، إذ قال: «وإما أن يكون المحذوف شيئاً ليس فيه راجع ولكنه متصل بالكلام نحو قولك: الكر بستين درهماً فأمسكت عن ذكر الدرهم بعد ذكر الستين لعلم المخاطب، وتعتبر خبراً لمبتدأ بأنك متى سألت عن الخبر جاز أن يجاب بالمبتدأ لأنه يرجع إلى أنه هو هو في المعنى. ألا ترى أن القائل إذا قال: عمرو منطلق فقلت: من المنطلق قال: عمرو، وكذلك إذا قال: عبد الله أخوك فقلت: من أخوك قال: عبد الله، وكذلك لو قال: عبد الله قامت جاريته في دار أخيه فقلت: من الذي قامت جاريته في دار أخيه لقال: عبد الله»، هنا ابن السراج اقتفى أثر سيبويه في تفسير ظاهرة (هو هو)، ففي هذا النص أوضحت (هو هو) لتفسير العلاقة بين المبنى والمبني عليه، كان التطابق كلياً جنسي (النوع)، فجملة (الكر بستين درهماً) فهنا المبتدأ (الكر) مكياً عند أهل العراق مقداره ستون قفيزاً هو مطابق بالعدد مع المبنى عليه (بستين)، فالخبر هو نفس عدد المبتدأ، فمتى يسأل عن المبتدأ يجاب بالخبر، ومتى يسأل عن الخبر يجاب بالمبتدأ؛ لذا عبر ابن السراج عنها بمصطلح (هو هو) أي المبتدأ في المعنى هو الخبر، الخبر بمعنى هو المبتدأ.

وهذا ينطبق على الجمل التي ذكرها ابن السراج لتفسير مصطلح (هو هو) كجملة (عمرو منطلق)، وجملة (عبد الله أخوك)، وجملة (عبد الله قامت جاريته في دار أخيه)، ففي هذه الجمل المبتدأ هو معنى المبنى عليه (الخبر)، المبنى عليه (الخبر) هو في معنى المبتدأ، فهنا تطابق بالنوع (الجنس) بين المبتدأ والخبر.

ومما أوضحه ابن السراج في بيان هذه الظاهرة، إذ قال في موضوع الاستثناء: «أنك لو قلت: قل زيد إلا زيد لم يجز لأنك لا تستثني واحداً من واحد هو هو»⁴، ففي هذا النص أوضح العلاقة بين المستثنى والمستثنى منه، فابن السراج لم يجز هنا أن يستثنى الواحد من الواحد نفسه؛ لأن مفهوم الاستثناء يعني إخراج الشيء من الأشياء؛ لذا عبر ابن السراج بمصطلح (هو هو)، أي فأراد أن يوضح أنه لا يجوز أن يستثنى الواحد من الواحد إذا كان بمنزلة هو هو.

¹. المقتضب، للمبرّد: 339/3.

². المقتضب: 78-79/4.

³. الأصول في النحو، لابن السراج: 69/1.

⁴. الأصول في النحو: 297/1.

«يقولون إذا قلتَ : (قَامَ زيدٌ) كيف تخبر عن زيدٍ بالذي وبالألْفِ واللام فيكون الجواب : (الذي قامَ زيدٌ والقائمُ زيدٌ فتكون) الذي مبتدأً وقامَ صلتهُ وفيه ضمير يرجع إليه وبه تمّ، وهو في المعنى : (زيدٌ) لأنّ الضمير هو الذي والذي هو زيدٌ فهو في المعنى: الفاعلُ كما كان حين قلتَ : (قَامَ زيدٌ) وكذلك إذا دخلت الألف واللام بدلاً من الذي قلتَ : (القائمُ زيدٌ) فالألف واللام قد قامتا مقامَ الذي و(قائم) قَدْ حَلَّ مقامَ (قَامَ) وفي (قائم) ضمير يرجع إلى الألف واللام والألفُ واللام هما زيدٌ... وكل اسم قيل لك أخير عنه فحقه أن تنتزعه من الكلام الذي كان فيه وتضع موضعه ضميراً يقومُ مقامه ويكون ذلك الضمير راجعاً إلى الذي أو الألف واللام وإنما كان كذلك لأن كل مبتدأٍ فخبيره إذا كان اسماً مفرداً في المعنى هُوَ هُوَ فإذا ابتدأتَ (بالذي) وجعلت اسماً من الأسماء خبره فالخبر هو (الذي) والذي هو الخبر وهذا شرط المبتدأ والخبر»¹.

هنا ابن السراج أراد أن يوضح تفسير العلاقة بين الموصول وضمير الصلة، كان التطابق كلياً بينهما، أي : في المعنى اسم الموصول هو نفسه في المعنى مراد ضمير الصلة، وما يدل عليه ضمير الصلة هو في المعنى ما يدل عليه الاسم الموصول فهذا أطلق ابن السراج مصطلح (هو هو) في المعنى، أما ابن جني فأوضح علاقة (هو هو) لبيان حقيقة الشيء، إذ قال : « أنت إذا قلت: ما أنت زيداً، فله معنى غير معنى: ما أنت كزيد، لأنك إذا قلت: ما أنت زيداً، فإنما نفيت أن يكون هو هو، وإذا قلت: ما أنت كزيد فإنما نفيت أن يكون مشبهاً له، ألا ترى أن من قال: أنا زيدٌ، فمعناه غير معنى من قال: أنا كزيد، فكما كان الإيجابان مختلفين، كذلك يكون النفيان مختلفين، وهذا واضح.»².

في هذا النص ابن جني يفرق بين جملي (ما أنت زيداً، وما أنت كزيد) فالجملة الأولى لست مشبهاً لزيد سواء أكان حقيقة أم صفة، أما الجملة الأخرى فليس هو مشبهاً بزيدٍ حقيقته (هو هو)، وإنما يشبهه في صفته، ثم ناظر ابن جني هاتين الجملتين المنفيتين بجمليتين مثبتتين هما (أنا زيد، وأنت كزيد) فالجملة الأولى درجة التطابق كاملة فهو عين زيد أو هو هو حقيقة وذاتاً، والجملة الأخرى فهو يشبهه، وهناك فرق بين الشبه والحقيقة.

أما أبو القاسم السهيلي (ت581هـ) فأوضح علاقة هو هو لبيان المطابقة بين التعت والمنعوت، وبين الفعل والمفعول المطلق الذي من لفظ الفعل، إذ قال : « إن حكم التعت أن يكون جارياً على المنعوت في رفعه ونصبه وخفضه ؛ لأنه هو هو مع زيادة معنى»³، وقال : « فوضع الاسم المعين مكان الاسم المطلق تبييناً له، فعمل فيه الفعل، لأنه هو هو في المعنى، وليس بغيره.»⁴

أما عند ابن مالك (ت672هـ) فقد استعمل تركيب (هو هو) في تقدير المحذوف ؛ إذ وجّه البيت الشعري :

ونعم مزكاً من ضاقت مذهبهُ ونعمَ مَنْ هو في سرِّ وإعلانِ
فذهب إلى أنه يجوز جعل (مَنْ) الموصولة فاعل (نعم) الثانية، ويكون الضمير (هو) مبتدأً خبره محذوف تقديره (هو)، فيكون تقدير التركيب : ونعم مَنْ هو هو في سرِّ وإعلان، أي: هو الذي شهر في سرِّ وإعلان و(في) متعلقة ب"هو" المحذوف لأن فيه معنى الفعل⁵.

بيد أن ابن هشام الأنصاري قدّر التركيب (هو هو هو) فجعل (مَنْ) الموصولة ليست فاعلاً ل(نعم)، وإنما هي تمييز لفاعل (نعم) المستتر، وعليه أن يقدر المخصوص بتقدير (هو) لتقدم ذكر (بشر بن مروان) في البيت الذي قبله هو :

وكيف أُرهبُ أمراً أو أُرأعُ بهِ وقد زكأتُ إلى بشرِ بنِ مروان

فكان تقدير التركيب المتعلق بالفعل الجامد : (هو هو هو)⁶

¹ . المصدر نفسه : 2 / 270.

² . سر صناعة الإعراب، لابن جني : 1 / 304

³ . نتائج النحو في الفكر، للسهلي : 163.

⁴ . المصدر نفسه : 298.

⁵ . ينظر : شرح الكافية الشافية، لابن مالك : 2 / 1110

⁶ . مغني اللبيب عن كتب الأعراب : 2 / 97.

هو المقدره (المخصوص المحذوف) + هو الظاهرة (مبتدأ) + هو المحذوفة(خبر المبتدأ).

(نتائج البحث)

- 1- أن سيبويه كان دقيقاً في وصفه هذه الظاهرة و تفسير درجات التطابق بين المبني والمبني عليه.
- 2- أن ظاهرة (هو هو) استمد فكرتها من القياس اللغوي وطبق بما ترتضيه طبيعة اللغة.
- 3- بين سيبويه درجات التطابق بين المبتدأ والمبني عليه، وهي في ما يأتي :
 - المبتدأ + المبني عليه (هو هو) = علاقة مطابقة، نحو : عبد الله منطلق.
 - المبتدأ + المبني عليه (الآخر هو الأول) = علاقة التشابه أو الوصف، نحو : هو مني مزجراً الكلب، وعهدي بي قريب وحديث.
 - المبتدأ + المبني عليه (الآخر الأول) = علاقة احتواء (ظرف)، نحو : الليلة الهلال.
- 4- أوضح سيبويه درجات التطابق بين المنعوت والنعت، وهي ما يأتي :
 - المبني (الذات) + المبني عليه (وصف ثابت غير متغير) = هو هو هو.
 - المبني (الذات) + المبني عليه (وصف متغير بمنزلة الذات نفسه) = هو هو.
- 5- أن نحو سيبويه نحو علمي، أما النحاة الذين جاءوا بعد سيبويه فكان نحوهم تعليمياً.
- 6- منهج سيبويه يفسر اللغة باللغة ؛ لذا كثرت عنده آليات التفسير في مفهومات مثلاً : (المنزلة، وأجري مجرى، كما قالت العرب، وقع موقع، في موضع، كأنك قلت وكأنه يقول، وهذا تمثيل لم يتكلم به).
- 7- نظر سيبويه إلى اللغة من حيث استعمال المتكلم ؛ لذا نقول إن نحو سيبويه نحو وظيفي، أما النحاة الذين جاءوا بعده فنظروا إلى اللغة من خلال تقدير التركيب.
- 8- اختفاء درجات التطابق عند المتأخرين عما هو عند سيبويه (هو هو، الأول هو الآخر، الأول الآخر).

(روافد البحث)

- القرآن الكريم.
- الأصول في النحو، أبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت316هـ)، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت
- أخبار النحويين البصريين، لأبي سعيد السيرافي (ت368هـ)، تح: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط1 1373 هـ - 1966 م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الانباري (ت577هـ)، تح: محمد محيي عبد الحميد
- تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق لجنة التراث العربي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1385هـ-1965م.
- التعريفات للسيد الشريف الجرجاني (ت817هـ) دار التأريخ، بيروت - لبنان.
- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت392هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة الأولى1421هـ- 2000م.
- سيبويه إمام النحاة، الأستاذ علي النجدي ناصف، مكتبة النهضة، مطبعة البيان العربي، مصر 1373هـ-1953م.
- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي (ت368هـ)، تحقيق : د. حسين نصار، الجزء السابع، مط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة 2009.
- شرح الكافية الشافية، لأبي عبد الله جمال الدين بن مالك (ت672هـ)، تحقيق : عبد المنعم أحمد هريدي، نشر في جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة.

- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت398هـ)، تح : أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
- كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان الملقب بـ(سيبويه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار التاريخ، بيروت.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت1094هـ)، تح : عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت (د.ت).
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ)، دار صادر - بيروت، (د.ت).
- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ)، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة، الناشر : عالم الكتب - بيروت.
- منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، د. محمد كاظم البكاء، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت581هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، 1992 م.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين بن أمير سليم الباباني البغدادي (ت1399هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، تح : إحسان عباس، دار صادر.